أَجَـدَّكَ لا تُـنْـسِـيـكَ لَـيْـلَـى مُـلِـمَّـةٌ
تُـلِـمُّ ولا عَـهْـدٌ يَـطُـولُ تَـقـادُمُـهْ(١)

٢٠٥
إيماءَة

[الطويل]

فَـلَـوْ زُرْتُ بَـيْـتَ الـلَّـهِ ثُـمَّ رأَيْـتُـهـا
بِـأَبْـوابِـهِ حـيـثُ اسـتَـجـارَتْ حَـمـامُـهـا(٢)
لَـمَـسَّـتْ ثَـيـابـي إِنْ قَـدِرْتُ ثـيـابَـهـا
ولـمْ يَـنْـهَـنِـي عَـنْ مَـسِّـهِـنَّ حَـرَامُـهـا(٣)
ولَـوْ شَـهِـدَتْـنِـي حـيـنَ تَـحْـضُـرُ مِـيـتَـتـي
جَـلا سَـكَـراتِ الـمَـوْتِ عَـنِّـي كَـلامُـهـا(٤)
كَـذلِـكَ مـا كـانَ الـمُـحِـبُّـونَ قَـبْـلَـنـا
إِذا مـاتَ مَـوتـاهـا تَـزاوَرَ هـامُـهـا(٥)

= بك تلوم نفسك على هجر ليلى لك وكأنّك أنت سبب نكبتك وعليك دفع غرامة مادية غالية الثمن، بكاءً وعذاباً وغربة.

(١) أَجَدَّك: ما بك. الملمة: الكارثة. ويوجه الشاعر لومه لقلبه أنه لم يتأثر لما أصابه من مصائب ونزل به من محن من جرّاء حبّه ليلى وهو لا يزال مستمسكاً بحبّه رغم تقادم العهد ومرور الأيام.

(٢) فلو كنت زائراً بيت اللّه الحرام ورأيتها ببابه وهناك تستجير الحمائم بصاحب البيت ليصونها ويرعاها.

(٣) حَرَامها: أثواب الإحرام في الحجّ أو العُمرة. ولشدّة شوق الشاعر لحبيبته يستبيح لنفسه، وهو في مكان مناجاة واستغفار، أن يُلامس ثوبه ثوب ليلى، ولم يتهيّب هذا الموقف العظيم رغم أنها في ثوب الإحرام الطاهر.

(٤) كلام ليلى له وقع السحر على الشاعر، فلو حضرت سكرات الموت حيث المعاناة والاستغفار ساعة منيّته لحال كلامها العذب دون الإحساس بعذاب الموت.

(٥) تلك حال المحبين عبر الزمن، فمنذ كان الحبّ كان تزاور الأحباب فأرواحهم ترفرف على قبورهم هياماً وشوقاً.

فيا لَيْتَنا نَحْيا جَميعاً فإنْ نَمُتْ
تُجَاوِرُ في الهَلْكَى عِظامي عِظامُهَا[١]
وفي الظَّعْنِ بَيْضاءُ العوارِضِ طَفْلَةٌ
مُنَعَّمَةٌ يَسْبِي الحَليمَ ابتِسامُها[٢]
إذا سُمْتُها التَّقْبيلَ صَدَّتْ وأَعْرَضَتْ
صُدودَ شَمُوسِ الْخَيْلِ صَلَّ لِجامُها[٣]
وعَضَّتْ على إبْهامِها ثمَّ أَوْمَأَتْ:
أَخافُ عُيوناً أَنْ تَهُبَّ نِيامُها[٤]

٢٠٦
إنما أَنتَ هامة

[الطويل]

أَلا تِلْكَ لَيْلَى قد أَلَمَّ لِمَامُها
وكيفَ مع القَوْمِ الأَعادي كلامُها[٥]؟

---

(١) يتمنّى الشاعر العيش إلى جانب حبيبته وحتى في حال الموت يودّ أن تتجاور عظامهما لينعم بالقرب منها في حالتي الحياة والموت.

(٢) والحبيبة تبدو ساعة رحيلها بيضاء الأسنان منبسطة الأسارير تعلوها ابتسامة طفولية بريئة جذّابة تستولي على الرجل العاقل الرزين فتستعبده وتستولي عليه بلطافة مظهرها.

(٣) و (٤) سمتها التقبيل: حاولت تقبيلها. الشموس: الجموح. صَلّ: صَرْصَر صوتاً كالصليل. فلو قصد الشاعر تقبيل حبيبته لصدّته وازورَّت عنه كأنها فرس جموح لم تُروّض وصهلت مُغضبة وأسمعت صليل لجامها. وعضت إبهامها مشيرة أنها تحذر عيوناً نائمة سرعان ما تنتبه لأول سانحة، فتلوك الألسنة السيّئة سمُعتها.

(٥) إنها ليلى، قلّما تُزار لِماماً بين الأحيان، ولا مجال لحديث يكشف ما يعانيه الأحبّة؛ فالأعداء يتربّصون بهما ليناقلوا الأحاديث ويتقوّلوا الأقاويل.